إضاءة

شمس الدين سامي من الأدب العثماني الكلاسيكي إلى التركي الحديث

150 سنة على أول رواية تركية

يمثّل شمس الدين سامي، الذي يُعتبر صاحب اول رواية في اللغة التركية، حالة فريدة، نظراً للخلفية الثقافية والسياسية التي جاء بها من بلاده البانيا إلى اسطنبول، واسهامه في تحديث اللغة فيها وفي تركيا و تمرير افكاره الجديدة من خلال الروايات والمسرحيات

محمد م. الأرناؤوط

يبدو أن الاستعدادات للاحتفال بذكرى مرور 150 سنة على صدور أول رواية في التركية، ألا وهي رواية «حب طلعت وفتنة» (1872) لشمس الدين سامي فراشري (1850 - 1904)، بدأت مبكرة، فجريدة «داييلي صباح»، على سبيل المثال، نشرت في ملحقها الثقافي مقالة لخاقان أرسلان بنّر بعنوان «شمس الدين سامي: الروائي التركي الأول» (14 أيلول/ سبتمبر 2019). في غضون ذلك تتوالى الدراسات عن المؤلّف التي تُبيّن الجوانب الأخرى من مؤلفاته الكثيرة في مختلف الحقول المعرفية منذ الاحتفال بمئوية رحيله في 2004، وهو الذي يرتبط أكثر عند المثقفين العرب المحايلين له بكونه صاحب القاموس الموسوعي «الأعلام» الذي صدر في ستة مجلدات، وهو الذي ألهم خير الدين الزركلي (1893 - 1976) لوضع عمله المعروف «الأعلام».

يمثّل شمس الدين سامي حالة فريدة نظراً للخلفية الثقافية والسياسية التي جاء بها من بلاده (ألبانيا) إلى إسطنبول وإسهامه في تحديث اللغة هنا وهناك (وتمرير الأفكار الجديدة من خلال الروايات والمسرحيات)، والتي كانت النواة للقومية الثقافية ثم للقومية السياسية الألبانية والتركية.

من ناحية أُخرى، يمكن القول إن شمس الدين سامي يمثّل الحصيلة الثقافية الجديدة لعصر الإصلاحات أو «التنظيمات»، التي بدأت بمرسوم 1839 الذي هدف إلى تحديث الدولة العثمانية باستلهام التقدم الأوربي في مجال الجيش والإدارة وتُوّج بإعلان الدستور العثماني الأول في 1876 والتئام أول برلمان يمثّل شعوب الدولة العثمانية. من هذه الشعوب جاء عبدُل فرشراي، الأخ الأكبر لشمس الدين، إلى إسطنبول للمشاركة في أعمال البرلمان الأول.

في غضون ذلك اهتمت الحكومة العثمانية بإرسال الشبّان للدراسة في أوروبا في تخصصات عسكرية وهندسية وغيرها، ولكن بعضهم عاد بأفكار سياسية شكّلت جمعية «العثمانيون الجدد» الذين طالبوا بحكم دستوري، وهو ما تحقّق لفترة قصيرة خلال 1876-1878 إلى أن قام السلطان الجديد عبد الحميد الثاني بتجميد العمل بالدستور وحلّ البرلمان. ولكنّ ما أطلقه الجيل الأول من المثقفين (إبراهيم شناسي ونامق كمال وشمس الدين سامي وغيرهم) من أفكار جديدة عبر الصحف التي أصدروها وعبر الروايات والمسرحيات التي نشروها أثمرت ثقافة تركية جديدة متمايزة عن الثقافة العثمانية السائدة ووَلدت الشعور بالهوية القومية التركية الذي كان الأساس للقومية التركية السياسية في مطلع القرن العشرين.

نصب تذكاري للأخوة فراشري، نعيم وعبدل وسامي، في تيرانا بألبانيا (Getty)

من القرية والتكيّة إلى المدرسة، الجامعة

وُلد شمس الدين سامي عام 1850 في قرية فراشري بجنوب ألبانيا، حيث عُرف هناك باسم سامي فراشري، في أسرة بكتاشية معروفة لعبت دوراً كبيراً في النهضة الثقافية والقومية الألبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبعد رحيل والده انتقلت رعاية الأسرة إلى الأخ الأكبر عبدُل (تصغير عبد الله) الذي انتقل بإخوته إلى عاصمة الولاية بانينا (حالياً في شمال غرب اليونان) حيث التحقوا بمدرسة «رُوسيما» التي كانت من أشهر المدارس في غرب البلقان، نظراً لأن خرّيجيها كانوا يكتسبون معرفة لغوية وأدبية وعلمية واسعة. وهكذا فقد تعلّم شمس الدين سامي، بالإضافة إلى الألبانية والتركية والعربية والفارسية التي تعلّمها في القرية- التكيّة، اليونانية القديمة واليونانية الحديثة والفرنسية والإيطالية.

ساعدت هذه الحصيلة اللغوية- الثقافية شمس الدين سامي أن يبرز في إسطنبول التي استقر فيها عام 1870، حيث عمل في الصحافة ثم في الترجمة عن الفرنسية للمؤلفات الأدبية، وهو ما جعله على اطلاع على الأدب الفرنسي ومكّنه فيما بعد من تأليف الروايات والمسرحيات. وفي هذا السياق برز اسمه مع ترجمة رواية «اليوسّاء» لفيكتور هوغو، ولذلك اندفع إلى تأليف رواية «حب طلعت وفتنة» (في العنوان العثماني «تعشّق طلعت وفتنة») التي صدرت في 1872 عن مطبعة الجوائب لتكون أول رواية في الأدب التركي.

> شكلت أعماله نواة للقومية السياسية الألبانية والتركية
>
> وجد في الأجناس الأدبية وسيلة لنقل أفكاره الجديدة

ومن الواضح هنا أنّ شمس الدين سامي كان يرى في الأدب، أو في الأجناس الجديدة التي أصبحت تلقى الاهتمام من القرّاء، وسيلة لنقل أفكاره الجديدة سواء في التقدم الاجتماعي أو في الأفق السياسي للدولة العثمانية كدولة دستورية تضمّ عدة شعوب لها الحق في التعبير عن نفسها ولغتها وثقافتها.

في هذا السياق يمكن قراءة روايته «حب طلعت وفتنة» التي خرقت المألوف الاجتماعي في الزواج دونما معرفة أو رؤية الفتاة لزوجها المستقبلي، حيث طرح لأوّل مرّة فكرة الحب قبل الزواج. وكما في كلّ رواية أولى تعبّر عن مشاكل المجتمع بشكل صادم، نجد طلعت الطفل ينشأ مع أمه المطلقة المنشغلة عنه بينما هو يكبر ويدخل المراهقة تحت متابعة الخادمة السودانية التي تفاتح سيّدتها في أمره وضرورة تزويجه. ومع انشغال أمّه يتعرّف طلعت على ابنة الجيران (فتنة) ويقع في حبها من النظرة الأولى ثم يجرأ على الذهاب إليها خلسة متّشحاً بثياب امرأة. ومع هذا الحب المتّقد تُفاجأ فتنة بأنّ أمّها ترغب في تزويجها إلى رجل عجوز وغني. وعندما يتم الاتفاق على العرس تكون المفاجأة الكبرى بأن «العريس» ليس سوى زوج أمّها السابق ووالدها، وهو ما يصدم «فتنة» إلى حدّ أنها سقطت مريضة وتوفيت، ويلحق بها طلعت من الحسرة عليها.

ومع كل المآخذ على الروايات الأولى إلا أن شمس الدين سامي نجح في تصوير شخصيات الرواية وتنويع اللغة بين الشخصيات (لغة الخادمة السودانية التي لا تجيد النطق باللهجة الإسطنبولية الناعمة) وتتابع الأحداث، وأوهم القارئ بأن الشخصيات من لحم ودم على اعتبار أن الفن الناجح هو الإيهام الناجح.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

المواقف والأثمان

مع التمايزات الجديدة في الهوية التركية، الامر الذي اصبح معه اسم تركي مثارا للاعتزاز بعد ان كان يُطلق على «فلاحي الاناضول المتخلفين»، كان شمس الدين سامي معروفا بنزعته المعارضة للحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد الثاني ودعوته الى حكم دستوري وحف الشعوب الاخرى في الدولة العثمانية في التعبير عن هويتها وثقافتها، ما جعله عرضة للمضايقة المتواصلة في سنواته الاخيرة، وحات مديونا حتى ان بيته ومكتبه بيعا لتسديد ديونه.

قراءة

منزل عائم فوق النهر العنف والخفّة

الواقع في أقصى حالاته

رواية زينب مرعي مزيج بين الشعر والواقع، الذي هو، في عنفه وفي قساوته، يبدو أيضاً أقرب إلى صورة. حدّته ومبالغته تجعلان منه، على نحو، ما فوق الواقع

عباس بيضون

«منزل عائم فوق النهر» عنوان رواية زينب مرعي الصادرة عن «دار نوفل» (2021)، يؤشّر للرواية رغم أنه ليس محوراً فيها. المنزل العائم فوق النهر أقرب إلى أن يكون صورة، أقرب إلى أن يكون شعراً أكثر منه واقعاً. رواية زينب مرعي (1986) هي أيضاً هذا المزيج بين الشعر والواقع، الذي هو، في عنفه وفي قساوته، يبدو أيضاً أقرب إلى صورة. حدّته ومبالغته فيها تجعلان منه، على نحو ما، فوق الواقع. لا يمكننا هنا أن نتكلّم عن السوريالية، لكننا نستطيع أن نتكلّم أكثر عن شعرية ما. الفصل الأول من الرواية يكاد يختصرها، لكن ليلى، التي هي الرواية، تبسط من طهران رواية تتجمّع عناصرها من بيروت. لكن الفصل الأول لا يُشرف على الرواية فحسب، بل يبدو وكأنه المقابل الواقعي لها. في طهران وفي القطار نجد ما يمكن اعتباره أرض الواقع في الرواية. طهران هي المقابل الواقعي لبيروت التي هي ما فوق الواقعي، التي هي، بمعنى آخر، غرائبية الواقع، أو الإفراط فيه، أو قراءته من وراء الواقع ومن قعره. القطار الطهراني هو هذا الهبوط على الواقع. في القطار قد نقف قليلاً عند روشنا التي هي رفيقة قطار تهبط منه قبل محطّتين من هبوط الرواية. روشنا تصطحب معها عصفورها في قفص تضعه جنبها بعد أن اشترت له بطاقة سفر، مصرّة على أن يكون له مقعده. نحن أيضاً أمام صورة هنا، لكنها الواقع في أقصى حالاته وقد استحال إلى صورة.

الفصل الأول مكتوب مع ذلك بلغة هذا الواقع، مع أننا نجد فيه إشارات لما سيبدو بعد ذلك هيكل الرواية الذي يتحدّر من بيروت. نعثر هنا على بنيامين؛ الزوج الذي، بحسب النص، لم يعد يقدر أن يحتمل، وغادر البيت تاركاً زوجته ليلى الرواية الأولى. سنعثر أيضاً على الأم وعلى شيرو، الشخصية الغامضة التي عثر عليها الزوج في حياة زوجته، ودفعه ذلك إلى هجر منزله. سنعثر أيضاً على الأخت الميتة وعلى الأم كارهة الرجال، وسيكون لذلك مداه في الفصول التالية التي تعيدنا إلى سلالة من نساء، أولاهن الجدّة بديعة التي تزوّجت «المتاتي»، واصطحبت معها عشيقها في علاقة ثلاثية غريبة انتهت بمقتل الزوج والعشيق. سيطبع هذا العنف وتلك الدموية الابنة التي عاشت، هي الأخرى، بين رجُلين: المطرب المعشوق والزوج المدمن، كارهة الرجال هذه شخصية أسطورية في قسوتها وكراهيتها التي لم تعف منهما ابنتيها: الراوية وأختها بانة. لن يكون بيت الأم «فاطمة» سوى استطراد لبيت الجدّة: رجُلان في حياة كلّ منهما وقسوة خيالية. لم تعرف الأمّ فاطمة أيَّ الرجُلين والدها، لكنها تحمل ضغناً ضدّ الرجال بكليتهم، وحين تقع ابنتها المفضّلة في غرام هو الآخر غرائبي، إذ إنها ترضى بعلاقة حبيبها الغامضة مع امرأة أخرى، وتقبل أن تتقاسمه معها. غرام الابنة وتهافتها في هذا الغرام ينزعها من أمّها التي تقوم بقتلها في لحظة انتحارها.

هذا الازدواج بين القتل والانتحار واحد من غرائب الرواية، التي تنتهي بأن تحمل الأم وابنتها المكروهة جسد الابنة بعد لفّه في غطاء وترميانه في النهر، فنبقى وتبقى معنا الرواية حائرة بين أن تكون الابنة «بانة» قضت منتحرة أو قتيلة. الواضح أن الاثنين يتراكبان ويدخلان بعضهما في بعض.

هكذا نقف أمام سحر الرواية وغرائبيتها، نقف أمام ما يمكن أن نسمّيه شعر الكراهية أو تخييل العنف. التناقضات هنا تزدوج وتتوالد، وهي في ذلك تبدو أقرب إلى فانتازيا أو واقع سحري. القساوة في أقساها وفي تطرّفها تبدو أقرب إلى الخيال، والكراهية تبدو أساساً لسحر خاص. تقلب زينب مرعي الواقع على نفسه، تستولد منه ما يبدو خياله، وهي تمضي في ذلك من أكثر من جهة. حين نعلم أن شيرو الاسم الذي حفر بنيامين الزوج على هجر المنزل ليس حقيقياً، إنه اسم افتراضي، اختراع فحسب، فليلى التي أمضت طفولة وحيدة كانت تخترع لنفسها أصدقاء افتراضيّين، تاعبهم ويلاعبونها وتحادثهم ويحادثونها. من تبقّى لها من هؤلاء كان هذا الذي حمل اسم شيرو، هذا ما يبدو أقرب إلى طرفة، إلى نادرة فحسب. تبدو على شيء من الخفّة، بل الفكاهة مقابل الصرامة والعنف والجنائزية التي وسمت الأمّ التي طعنت زميلة لها «لكي تصمت». ليست قصّة شيرو وحدها الخفيفة، بل المقلب الذي رتّبته ليلى العائدة بدون سبب مقنع إلى بيروت، لتكون، لأمر ما، جنب أمّها المكروهة. رتّبته لأمّها بعد خوف غير مفهوم من أن تقلب زوجها عليها. هذه الخاتمة التي تبدو مصالحة وعودة إلى الواقع، بعد كل هذا المسار الغرائبي، هذه تبدو مقابل تشنّج الرواية ودراماتيكيتها المبالغة، متسرّعة وأقرب إلى حيلة روائية.

(شاعر وروائي من لبنان)

> طهران هي المقابل الواقعي لبيروت التي هي ما فوق الواقعي

زينب مرعي

قصائد

الحياةُ ليست سهلةً ولا الموت أيضاً

بدلاً من الجدران الأربعة

تمثال لـ اورهان ولي في حي بشكتاش باسطنبول

اورهان ولي

رسالة من قطّ شوارع
إلى قط بائع الكبد

لا يمكننا أن نتوافق أبداً، طُرُقُنا منفصلة
أنتَ قطُّ بائع الكبد، وأنا قطُّ شوارع
طعامك في وِعاء مطليّ بالقصدير
وطعامي في فم الأسد
في الأحلام ترى أنتَ الحبَّ، وأنا العظمَ

لكنّ حياتَكَ ليست سهلةً أيضاً يا أخي
ليس سهلاً على الإطلاق
أن تهزّ ذيلَكَ هكذا كلّ يوم.

الرد:
- من قطّ بائع الكبد إلى قط الشوارع -

أنتَ تتحدّث عن الجوع
وهذا يعني أنك شيوعي
إذاً الذي أحرق كلَّ البنايات هو أنتَ
بنايات إسطنبول، أنتَ
بنايات أنقرة، أنتَ
يا لك من خنزير!

ليست سهلة

أعرف أنّ الحياة ليست سهلة
ولكن ها هو؛
سرير أحد الموتى لا يزال دافئاً
ولا تزال الساعةُ تعمل في يد أحدهم
الحياةُ ليست سهلةً يا إخوتي
ولا الموت أيضاً
ليس من السهل مغادرة هذا العالم!

لا أستطيع أن أقول شيئاً

لو أنّني بكيتُ
فهل تقدرونَ على سماع النحيب في قصائدي،
وأنْ تلمسوا دموعي بأياديكم؟

قبل أن أقع في هذا الحزن
لم أكن أعرف
أنّ الأغاني جميلةٌ إلى هذا الحدّ
وأنّ الكلمات ليست كافية.

أعرف أنّ هناك مكاناً
يمكن أن تتحدّثَ فيه عن كلّ شيء
أقترب منه كثيراً، وأسمع صوتَه
لكنّني لا أستطيع أن أقول شيئاً.

من أجل الكتابة

كلُّ الجميلاتِ يتصوّرنَ
أنّ قصائدي عن الحبّ
كُتبتْ فيهنّ
وأنا أعاني دائماً
من معرفتي بأنّها
من أجل الكتابة
والسلام.

مساءات الأحد

ثيابي الآن رثّة
ولكن من المحتمل بعد أن أسدّد ديوني
أن يكون لديّ ثياب جديدة
ومن المحتمل أيضاً ألّا تحبّيني مرّةً أخرى
ومع ذلك،
وأنا أمرُّ من حيّكِ بثيابٍ مهندمة
في مساءات الأحد،
هل تظنّينَ أنني سأفكر فيكِ مثل الآن؟

أجراس

نحن الموظّفين
نكون في الشوارع مع بعضنا البعض
في التاسعة صباحاً، والثانية عشر ظهراً
والخامسة مساءً
هكذا كتب الإلهُ المُعَظَّمُ قَدَرَنا؛
ننتظر جرسَ انتهاء العمل
أو أوّل الشهر.

في الداخل

الشبّاك
أفضل شيء هو الشبّاك
على الأقل سترى الطيور المارّة
بدلاً من الجدران الأربعة.

(Orhan Veli أحد أبرز الشعراء الأتراك في العصر الحديث (1914 - 1950). ترجمة عن التركية: أحمد زكريا وملاك دينيز أوزدمير)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

يقيم **المعهد الثقافي الإيطالي** في القاهرة لقاءً افتراضياً مساء الإثنين، الحادي والعشرين من الشهر الجاري، لإطلاق النسخة العربية من كتاب **حياة جديدة** للكاتب الإيطالي دانتي اليغري، الذي يُحتفل بمرور سبعمئة عام على مولده. يشارك في اللقاء مُترجم العمل حسين محمود، والباحثان ريكاردو ستارنو تي وعبير السيد.

حتى الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، يتواصل معرض الفنان الصيني **آي ويوي** (1957) تحت عنوان **Rapture** في «مركز كوردوباريا ناسيونال» بلشبونة، والذي افتتح في الرابع من الشهر الجاري. يضمّ المعرض حوالي خمسة وثمانين عملاً تتناول زلزال سيتشوان في الصين عام 2008، وأزمة اللاجئين عبر البحر المتوسط، كما توثّق لحظة اجتياح جائحة كورونا للقارة الأوروبية.

يقدّم **المتحف الفلسطيني** في بيرزيت، عند الخامسة مساء اليوم الاحد، ندوة بعنوان **الخرائط الهندسيّة بين السيطرة والتحرّر في السياق الاستعماري** تتحدّث فيها الباحثتان امامي خليفة ويارا السعدي عن المُخطّطات والخرائط كأدوات للسيطرة على الجغرافيا في السياق الاستعماري، والمبادرات الفلسطينية لمجابهة هذا الواقع.

انطلقت أمس السبت **أسبوع المسرح** في مدينة قفصة التونسية والذي يستمر حتى العشرين من الشهر الجاري بمشاركة واحد وعشرين عرضاً موجهاً للطفل. من بين العروض المشاركة: **ارتباك** (الصورة) لـ **محمد السعيدي**، و**راعي العجب** لـ **محمد علي احمد**، و**ساحر اوز** لـ **حسين براهمي** و**زينب عيساوي**، و**حكواتي** لـ **كمال بوعزيزي**.